اني اشكركِ يا سيدتي على كرم اخلاقكِ وعظيم ما بذلتِ لاجلي فانكِ سمحتِ باقتراني بلويزا وعزمتِ ان تنابذي زوجكِ وتتعرضي لسخطهِ وانتقامهِ وانا لا احبّ ان احملكِ كل هذا من اجلي فارجو ان تأذني لي في الانصراف وقام لساعتهِ وانسلّ من بين الاشجار عائداً من حيث اتى. فقهقهت جوليا ضحكاً وقالت للويزا أرأيتِ مبلغ حبهِ لكِ وعلمتِ يقيناً انهُ انما يرغب في اموالكِ لا فيكِ فانبذي من قلبكِ حبّ هذا المتملق المخادع وأيقني بنصح مشورة ابيكِ وسموّ حكمتهِ وصدق رغبتهِ في ابتغآء راحتكِ وسعادة حياتكِ. فالقت لويزا بنفسها على عنق والدتها ويديها تقبلها وتستغفرها عما فرط منها من الجهل والغرور وقد ايقنت بزيفها وشعرت بخطآئها العظيم في تسرعها بتسليم قلبها الى من لم تختبر طويتهُ وندمت على ما كان منها من مخالفة والدها وعدم ثقتها بحسن قصدهِ وطلبت من والدتها ان تستغفرهُ لها وتستجلب رضاهُ عنها. ثم صعدتا الى المنزل فذهبت جوليا واخبرت زوجها باعتدال لويزا في افكارها ورجوعها عن غيها وذلك دون ان تطلعهُ على شيء مما كان فسرّ الوالد كل السرور وانفرجت كربتهُ ونام الجميع بدعةٍ وسلام وقد زال ما كان يتهدد ذلك البيت من النكد والشقاق

ولما كان الصباح اقبل الكنت رولان للموعد فاجيب طلبهُ بالقبول وبعد ايام تمّ عقد القران وقضت لويزا معهُ حياةً هنيئةً لا يشوبها كدر ولا ينغصها نكد وكان الفضل كلهُ في ذلك لحزم والدها وحكمة والدتها

التنجيم

قال ابن خلدون هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قِبَل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولّدات العنصرية منفردةً ومجتمعةً فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالّةً على ما سيحدث من نوعٍ نوعٍ من انواع الكائنات الكلية والشخصية. قال فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو امرٌ تقصر الاعمار عن تحصيلهِ اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن وادوار الكواكب منها ما يحتاج تكرارهُ الى آمادٍ واحقابٍ متطاولة .. واما بطلميوس ومن تبعهُ من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالةٌ طبيعية من قِبَل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيّرين واثرهما في العنصريات ظاهرٌ لا يسع احدًا جحدهُ مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وامزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك .. ثم قال (اي بطلميوس) ولنا فيما بعدهما من الكواكب طريقان الاولى التقليد .. والثانية الحدس والتجربة بقياس كل واحدٍ منها الى النيّر الاعظم الذي عرفنا طبيعتهُ واثرهُ معرفةً ظاهرة فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القران في قوّتهِ ومزاجهِ فتُعرَف موافقتهُ لهُ في الطبيعة او ينقص منها فتُعرَف مضادّتهُ ثم اذا عرفنا قواها مفردةً عرفناها مركبةً وذلك عند تناظرها باشكال التثليث والتربيع وغيرهما. انتهى المقصود من هذا الفصل ملخصاً ومنهُ يتبين ان البنآء في هذه الصناعة

على ادّعآء قوةٍ خاصّة في النجم من شأنها ان تؤثر في طبائع المولّدات العنصرية فتتخلق بها وتكون احوالها تابعةً لمقتضاها . وهذه القوّة على ما يؤخذ من كلامهم هي غير القُوَى المادّية المنبثّة في هذه الاجرام او الصادرة عنها وانما هي قوةٌ معنوية او كما يقولون روحانية تشترك فيها الشمس والقمر وسائر الاجرام العُلوية ولذلك اذا اقترنت الشمس باحد السيارة زاد ذلك السيّار في قوتها او نقص منها تبعاً لما تكون عليهِ طبيعتهُ من الموافقة لطبيعتها او المضادّة لها . ولا يخفى ان ذلك من الاقوال التي لا تُعقل صحتها ولا دليل عليها في الخارج بل الدليل الخارجي ينقضها جملةً لان ما بنوا عليهِ استدلالهم من تأثير الشمس في تبديل الفصول وانضاج الفواكه والزرع وما اشبه ذلك ليس في شيءٍ من القوى التي يزعمونها وانما علّتهُ الحرارة المنبعثة من الشمس مع تفاوت المقدار الواصل منها الى الارض واختلاف وقع اشعّتها على ناحيةٍ ناحيةٍ منها كما هو معلومٌ بالبداهة ولذلك كانت تلك الفصول ومتعلقاتها تابعةً لحركة الشمس دون غيرها لان حركات السيّارة لا تطّرد مع الفصول ولا يثبت انها تغير شيئاً من احوالها . وقس على ذلك سائر الكائنات الارضية والجوّية من المدّ والجزر وهبوب الرياح وانتشار السحب واحوال المطر والصحو وغير ذلك مما يتواطأ عليهِ الشمس والقمر او ينفرد فيهِ احدهما بحسب ما تكون علّتهُ حرارة الشمس او ما فيها وفي القمر والارض من قوة التجاذب بحيث لو جرّدنا الشمس والقمر من الخصائص التي يزعمونها لهما لم يتغير شيءٌ من تأثيرهما في الاحوال المذكورة

على ان هذه الكائنات منها ما يُعرَف قبل حدوثهِ وهو ما بُني على

شرائع طبيعية وحركاتٍ مطّردة كمبادئ الفصول وطول الايام والليالي ومواقيت الكسوف والخسوف وحدوث المدّ والجزر وتساقط الشهب وظهور بعض المذنّبات وغير ذلك من الاحوال المتعاقبة على اوقاتٍ مقدّرة وهذا ولا شك اصل ما وقع الانبآء بهِ للمتقدمين على اثر المراقبات الطويلة والحسبان المدقّقة وهو من العلم الصحيح الذي لا ريب في صدقهِ لرجوعهِ الى سنن مطّردة واقيسة لا تتخلف . ومنها ما لا يصحّ الانبآء بهِ ولا دليل عليهِ قبل حدوثهِ كهبوب الرياح ونشئ الغيم والمطر وحصول الخصب والجدب وغير ذلك من الحوادث الفجآئية او التي جُهلت اسبابها وهذه لا تدخل تحت قاعدة ولا تعنو لضابط وانما دخلت في التنجيم من طريق التمويه والمخرقة ووردت على اثر تلك ففسد بها هذا العلم وغلبت فيهِ الخرافات والاباطيل . وذلك انهُ لما صدق اهل هذا الشأن في الانبآء ببعض الحوادث الدائرة مما مرّ ذكرهُ وقع في اعتقاد الاغرار والعوامّ ومن لم يكن على بيّنةٍ من سريرة الامر انهم قد استولوا على مفاتيح الغيب وفُتحت لهم صُحُف المستقبل فكانوا اذا عرض لهم استطلاع امرٍ مجهول فزعوا بهِ الى المنجم وبذلوا لهُ من الرغائب ما يهوّن عليهِ ركوب المخرقة والكذب . ومعلومٌ ان ليس كل احدٍ يأبى لنفسهِ مثل هذه المنزلة مما يكون لهُ عوناً على بلوغ المآرب والاستيلآء على عقائد القلوب ولا سيما ان اكثر الناس اهتماماً بمعرفة المستقبل هم الملوك والعظمآء واصحاب البسطة في الجاه والغنى لما يكتنفهم من الاحوال الخطيرة فكان في ذلك من التقرّب اليهم ما يجذب باعنّه المطامع وتتطالّ اليهِ اعناق الآمال فاتّسع من ثمّ باب التدليس والشعوذة ولم يبقَ شيءٌ من الكائنات

الكلية او الشخصية من وبآءٍ او حربٍ او خصبٍ او جدبٍ او سعادةٍ او شقآء او موتٍ او حياة الا سنّوا لهُ حكماً في التنجيم حتى جعلوا لكل مولودٍ برجاً يولد فيهِ ويتسلط على حوادث حياتهِ فتكون باسرها منوطةً بذلك البرج . وتلقّى الناس منهم هذه الخزعبلات بالتصديق وعمّت الثقة باقوالهم فكان اكابر الناس واصاغرهم يلجأون اليهم في تعرُّف غيبهم حتى كان لكل ملكٍ منجّمهُ ينظر لهُ في الطوالع واحكام النجوم عند كل عزيمةٍ فلا يصدر الا عن قولهِ وكان كل مولودٍ في البلاط يؤتى لهُ بالمنجم فيستخرج طالعهُ وينظر في مستقبلهِ

ومن الغريب ان التنجيم كان شائعاً حتى بين العلمآء الفلكيين انفسهم من لدن بطلميوس صاحب المجسطى على ما مرّ بك من المنقول عنهُ الى كبلر صاحب القواعد المشهورة في احكام حركات السيّارة وكاسيني اول قيّم على مرصد باريز وغيرهم ويروى عن كردان الطبيب الرياضي المشهور انهُ استشار النجم في ميقات موتهِ فلما كان اليوم الذي خرج لهُ انقطع عن الطعام حتى مات جوعاً

قيل واول ما ظهر التنجيم في بلاد الكلدان واشتهر الكلدان بهِ دهراً طويلاً حتى كان المنجم قديماً يسمى بالكلداني ثم انتقل التنجيم منهم الى مصر ثم الى اليونان ثم الرومان وانتحلهُ العرب في الاسلام وانتقل منهم الى الاندلس ومن هناك عمّ الغرب كلهُ . وكان قياصرة الرومان يقرّبون المنجمين ويبالغون في اكرامهم والاحتفآء بهم الا انهم ربما اوقعوا بهم اذا لم يصدقوا في انبآئهم وذلك لاعتقادهم ان كذب الانبآء انما ورد من قِبَل

تخلّفهم في مدارك هذا العلم لا لان العلم باطلٌ في نفسهِ . ويُروَى عن طيباريوس انهُ لما نُفي الى رودس طلب جماعةً منهم يستشيرهم فكان اذا انبأوهُ بامرٍ ثم ظهر لهُ ما يدلّ على كذبهم يأمر بهم فيُقذَفون من اعلى القارَة التي عليها منزلهُ الى البحر . وكذلك كان شأنهم مع بعض ملوك فرنسا ومن مضحك ما يُروَى من خزعبلاتهم ودهآئهم ان لويس الحادي عشر وكان شديد الحرص على حياتهِ كثير التطلّع الى المستقبل استشار مرةً منجماً لهُ يقال لهُ غاليوتي في غزوةٍ لهُ ينويها الى بعض الوجوه فانبأهُ نبأً حسناً ولكنهُ اخفق وفشل فشلاً قبيحاً . فلما عاد دخل على منجمهِ وقال لهُ ايه ايها الاستاذ انك لتقرأ في صحيفة المستقبل فقل لي هل تعلم متى تموت يشير بذلك الى قرب ايقاعهِ بهِ . فقال لهُ المنجم اما ذلك اليوم بعينهِ فلست اعرفهُ ولكني اعلم يقيناً اني ساموت قبل مولاي الملك بثلاثة ايام فلما سمع الملك ذلك خاف ان يصدق ان قتلهُ فتركهُ

ومن غريب ما نُقل ان واحداً من اولئك المخرقين يقال لهُ يوحنا ستوفلر انبأ بطوفانٍ عامّ يحدث سنة ١٥٢٤ بنآءً على ما ظهر لهُ من ان زُحَل والمشتري والمريخ ستقترن في تلك السنة في برج الحوت فذاعت نبوءتهُ هذه في الاقطار وقلق لها الناس قلقاً عظيماً لان الرجل كان من اشهر علمآء اوربا لذلك العهد ولم يبقَ الا من احتاط لنفسهِ باتخاذ القوارب واعداد القوت وبنى احد الاعيان في طولوز سفينة عظيمة اعدّها لهُ ولاهل بيتهِ واخصّآء اخوانهِ وما عندهُ من الحيوان فجعل لكلٍّ موضعاً يأوي اليهِ من الغرق غير ان تلك السنة مرت بجملتها الى آخر شهر فبراير ولم يقع قطرة

مطر . الا انهُ صدق بعد ذلك في نبوءةٍ اخرى وهي انهُ انبأ عن نفسهِ بانه سيموت بسقطةٍ فاتفق انهُ بينما كان في بعض الايام في مكتبتهِ يباحث في مسئلة جدَلية قام يطلب كتاباً عن رفٍّ في المكتبة ليؤيّد بهِ حجتهُ فسقط الرفّ على رأسهِ فمات بعد ايام

ورُوي ان الكنت دي بولَنفيلياي انبأ فولتير بانهُ سيموت في الثانية والثلاثين من عمرهِ فكتب فولتير في سنة ١٧٥٧ اني مكرت بهِ ففالطتهُ باكثر من ثلاثين سنة ولذلك فاني اسألهُ الصفح . على ان فولتير غالطهُ باكثر من ذلك لانهُ مات في سن اربع وثمانين

ولبث امر التنجيم شائعاً في الآفاق الاوربية يؤيدهُ الجهل تارةً ويفضحهُ الكذب اخرى والملوك بين مقرّبٍ لاربابهِ ومنكلٍ بهم الى اواخر القرن السابع عشر ومذ ذاك اخذ امرهُ يضعف شيئاً بعد شيءٍ بانتشار العلم حتى عاد ضرباً من الهزؤ والسخرية ولم يبقَ لهُ رواجٌ الا عند جماعاتٍ من رعاع القوم وأُمّيّيهم

اما العرب فلم يُحكَ فيما نُقل عنهم انهم كانوا على شيءٍ من هذه الصناعة خلا ما كانوا يقولون بهِ من امر الانوآء والاستدلال بها على المطر وهذا مع كذبهِ على الغالب لا يُعدّ من التنجيم الذي نحن فيهِ لابتنآئهِ على شبَهٍ من الادلة الطبيعية لكن جآء في الحديث من صدّق كاهناً او منجماً فقد كفر بما أُنزل على محمد وجآء في حديثٍ آخر من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السحر ولعل هذا انما كان عندما سئل عما تفعلهُ الاعاجم من ذلك . على ان التنجيم لم يلبث ان اتصل بالعرب على اثر

اختلاطهم بغيرهم من الامم ودخل دُور الخلفآء وحظي اصحابهُ عندهم . وقد ذكر المسعوديّ فيما رواهُ عن محمد بن عليّ العبديّ الخراسانيّ ان اول خليفةٍ قرّب المنجمين وعمل باحكام النجوم هو المنصور العبّاسيّ وكان عندهُ من المنجمين نوبخت المجوسي وابرهيم الفزاري وعليّ بن عيسى الاسطرلابي . قال وهو اول خليفةٍ تُرجمت لهُ الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتاب السند هند وكتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وكتاب المجسطي لبطليموس .. وخرجت هذه الكتب الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها . اه . وشاع هذا العلم بعد ذلك بين العرب واشتهر فيهم عدّةٌ من المنجمين منهم ابو معشر محمد بن عمر البلخيّ ومن حديثهِ ما رواهُ ابن خلكان في ترجمتهِ قال رأيت في بعض المجاميع انهُ كان متصلاً بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طلب رجلاً من اتباعهِ واكابر دولتهِ ليعاقبهُ بسبب جريمةٍ صدرت منهُ فاستخفى وعلم ان ابا معشر يدلّ عليهِ بالطرائق التي يستخرج بها الخبايا والاشيآء الكامنة فاراد ان يعمل شيئاً لا يهتدي اليهِ ويبعد عنهُ حسّهُ فاخذ طستاً وجعل فيهِ دماً وجعل في الدم هاوَن ذهب وقعد على الهاون اياماً . وتطلّب الملك ذلك الرجل وبالغ في التطلّب فلما عجز عنهُ احضر ابا معشر وقال لهُ تعرّفني موضعهُ بما جرت عادتك بهِ فعمل المسئلة التي يستخرج بها الخبايا وسكت زماناً حائراً فقال لهُ الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال ارى شيئاً عجيباً قال وما هو قال ارى الرجل المطلوب على جبلٍ من ذهب والجبل في بحرٍ من دم ولا اعلم في العالم موضعاً من البلاد على هذه الصفة . فقال لهُ اعد نظرك

وغيّر المسئلة وجدّد اخذ الطالع ففعل ثم قال ما اراهُ الا كما ذكرت وهذا شيءٌ ما وقع لي مثلهُ . فلما يئس الملك من القدرة عليهِ بهذا الطريق ايضاً نادى في البلد بالامان للرجل ولمن اخفاهُ واظهر من ذلك ما وثق بهِ فلما اطمأنّ الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسألهُ عن الموضع الذي كان فيهِ فاخبرهُ بما اعتمدهُ فاعجبهُ حسن احتيالهِ في اخفآء نفسهِ ولطافة ابي معشر في استخراجهِ . انتهى

والحكايات في امثال ذلك كثيرةٌ تدلّ على ميل طبع الانسان الى قبول الخرافات والاباطيل بل تدلّ على ان بعض الانسان شيطانٌ مارد وبعضهُ اشبه بالانعام او اضلّ سبيلاً . على ان هذا العلم قد اندرست آثارهُ عندنا فيما اندرس من علوم الاولين وكتبهم ولم يبقَ منهُ الا نُغيَّاتٌ يتناقلها بعض سفلة المشعوذين يحتالون بها على سلب اموال الاغرار وضعفآء العقول وانما كان انقراضهُ عندنا لعموم الجهل لا لانتشار العلم لكن خلفهُ من الزار واشباههِ ما هو انكر وادهى والله يهدي من يشآء ويضل من يشآء

وسنأتي في الجزء التالي على ذكر طرفٍ من احكام هذا العلم ومزاعم اربابهِ تبصرةً للغافل وتفكهةً للبصير

طرق وقاية الاطفال من الاصابة بالدآء الزهري

لحضرة الدكتور محمد عشماوي الحكيم مفتش صحة مركز شبراخيت بالبحيرة

قدمنا ان الدآء الزُهري هو من الامراض الوراثية اي انهُ يصيب الابنآء متى كان الوالدان او احدهما مصاباً بهِ

فالاطفال المولودون من ابوين مصابين بهذا الدآء قد يصابون بهذه الآفة وهم اجنّة وحينئذٍ فاما ان يُسقَطوا قبل تمام الحمل واما ان يستوفوا مدة الحمل فيولدون لتمام ولكنهم على الغالب لا يعيشون الا مدة قصيرة

وقد يولدون اصحآء من الآفات الزهرية ولكنهم بعد مضي الاسبوع الثالث او الرابع من الحياة الهوآئية تبتدئ عندهم الاعراض الزهرية في الظهور وذلك لظهور الطفحات الجلدية المتنوعة والالتهابات الفمية الخبيثة والزكام الزهري المزمن والتقرحات الفمية ولا سيما في الصماغين (اي جانبي الفم مما يلي الشدقين) وغير ذلك من الاعراض الزهرية الثقيلة التي تنهك بنية الطفل وتكون سبباً في اهلاكهِ

الا اننا لا نيأس من تحسن الحالة عند مثل هؤلآء الاطفال متى تولى معالجتهم احد مهرة الاطبآء لان الادوية المنوعة للدآء الزهري عظيمة الفائدة في معالجة الاطفال المولودين من آبآءٍ مصابين بهذا المرض ومتى عولجت هذه الآفات بدقة وانتباه لم يبعد حصول الشفآء ولذا يلزم ان تتبع ارشادات الطبيب المعالج بكل دقة

واما اذا ولد الطفل من ابوين سليمين فيلزم وقايتهُ من الاصابة بالدآء الزهري بالطرق الآتية

اولاً ينبغي عدم تعريض الاطفال للتقبيل ولا سيما في الفم والخدين اذ الغشآء المخاطي للشفتين سريع الامتصاص لجرثومة الدآء الزهري وكذلك جلد الوجه في هذه السن لما يكون عليهِ من الرقة والنحافة . وافضل واسطة لمنع تقبيل الاطفال ان يكتب على صدورهم او قلانسهم باحرف واضحة